# هل نعتمد على الأبجدية أم نعتمد على الجذر؟ (بعض الملاحظات عن المعاجم العربية البولندية)

أرزو صديخوفا

## المدخل

**من المعلوم أن دراسة أية لغة أجنبية وتدريسها مرتبط دائما بصعوبات ومشاكل مختلفة ومنها المشاكل النفسية والمادية. فكيفية التدريس والدراسة تتعلّق مباشرةً بالأدوات الكثيرة التي يجب على الطالب أن يمتلكها وهي مثلا الكتب المدرسية ومجموعات من نصوص أصلية مختارة والبرامج والموسوعات العلمية الصغيرة والمواد التي يجهزها الأستاذ وطبعا المعاجم.**

**إن دور المعاجم دور كبير أثناء دراسة اللغة، وأظنّ أنّ كل من درس أو درّس لغة أجنبية يعرف هذا جيدًا ويشاطرني هذا الرأي لأنّ تعلم أية لغة أجنبية مستحيل بشكل عام بدون هذا "المساعد" الشديد الأهمية. وتتعلّق كيفية تدريس اللغة مباشرةً بصفات القواميس وتنوّعها. ويزداد دور المعجم باستعماله المستمرّ طول الحياة حتى من قبل الأساتذة والمختصّين الآخرين الذين يعملون مع/باللغة العربية. إنّ القواميس ترافق علماء اللغة بشكل عام كل الوقت لأن اللغة كما ذكر جرجي زيدان "كائن حي"i. إنها تتغير باستمرار، وتظهر فيها كلمات جديدة، وتُستخدم بعض الكلمات الموجودة بالفعل أقل وثم تنتقل في النهاية إلى الفئة المستخدمة قليلاً أو تخرج من الاستخدام تمامًاii. وتعكس كل لغة مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع في مفرداتها. إذن حالة اللغة تتعلق بمستوى تطور المجتمع. وبالإضافة إلى ذلك، تتفاعل كل لغة مع اللغات الأخرى، و"تتبادل" معها الكلمات والعبارات وحتى الجمل بأكملها. وكل هذه الظواهر هي ظواهر طبيعية. فلهذا السبب، حتى الناطقين باللغة يجدون أحيانًا صعوبةً مع الكلمات الجديدة (أو القديمة) غير المعروفة أو الغريبة عليهم.**

اليوم أود أن أتحدث إليكم فقط عن القواميس العامة الكبيرة العربية – البولندية، ولن أهتمّ بالقواميس المخصصة لنوع من المفردات. سوف أتطرق إلى مشكلة واحدة فقط من المشاكل العديدة المرتبطة بتأليف المعاجم العربية-الأوروبية العامة. وهذه المشكلة هي اختيار مبدأ ترتيب القواميس. يعرف المختصون في علوم اللغة العربية أن هناك طريقتان لترتيب الكلمات - إما حسب جذر الكلمة وإما حسب الأبجدية. وبالطبع أنا أعني هنا فقط القواميس العربية البولندية لأن في القواميس البولندية العربية هذه المشكلة لا توجد، لأنها تستخدم الطريقة الأبجدية فقط. سأتحدّث عن القواميس المطبوعة بشكل تقليدي: باستعمال الورق ولكني سأشير أيضًا إلى القواميس الإلكترونية الحديثة، التي أصبحت حاليا أكثر فأكثر.

أسعدني الحظّ في تعليم اللغة العربية - في روسيا (أكثر من عشرين سنة) وفي بولندا (أكثر من خمس سنوات). في الواقع إنّ وضع القواميس العربية البولندية والعربية الروسية في هذين البلدين هو على العكس تمامًا، الأمر الذي أوصلني إلى ملاحظات ونتائج أراها تستحق الوقوف عليها وهو ما أريد التحدث فيه إليكم اليوم. في روسيا، القواميس الموجودة هي مبنية على جذور الكلمات فقط، ولا يوجد أي معجم يعتمد على الأبجدية. وفي بولندا، العكس، كل القواميس مبنية على الأبجدية فقط وليس هناك أي معجم موضوع على جذور الكلمات! وعلى الرغم من أن أحد القواميس العربية – البولندية يحتوي على محاولة للجمع بين كلتي الطريقتين، إلا أنه يجب نسبته بشكل عام إلى المعاجم الأبجدية.

وخلال السنوات العديدة من عملي، كنت ألاحظ الطلبة واختيارهم للقواميس وطرق العمل مع هذه القواميس، وكذلك كنت أهتمّ بآراء الطلبة حول القواميس أي لماذا يختارون هذا المعجم أو ذاك يعني ما هي القواميس التي يختارها الطلاب


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بأنفسهم بناءً على احتياجاتهم؟ ولكن قبل الإجابة على هذا السؤال، سأحاول أن أقارن كلتي الطريقتين (أو المبدأين)، وآخذ بعين الاعتبار العوامل اللغوية والاجتماعية والثقافية.

## مزايا المبدأين ونواقصهما

### الطريقة التي تعتمد على الجذر

هذه الطريقة تناسب أكثر خصائص اللغة العربية واشتقاقاتها. هي الطريقة التي نشأت مع بداية علم النحو وضعها العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي العظيم (٧٩١- ٧١٨)، أي من القرن الثامن للميلاد. وهذا المبدأ يعتمد بالطبع على جذور الكلمات وطبّقه الخليل في معجمه "كتاب العين" المشهور والمعروف وهو أوّل المعاجم العربية. بلا شكّ أن فكرة الخليل هذه كانت اختراعاً عبقرياً لأنه رأى وفهم الخصائص المميزة والأساسية للغة العربية وهي دور الجذور الثلاثية والرباعية في بناء الكلمات في العربية. وقدّم العلامة الكلمات في قاموسه ليس بشكل منفصل، بل بشكل شجرة وجذرها الفعل المجرّد وفروعها الاشتقاقات. وهذه الفكرة بسيطة وعبقرية في نفس الوقت لأنّه ما كان لدى الخليل أي نموذج للمقارنة. وإنّ جمع جميع المشتقّات التي هي من جذر واحد في إطار المادة الواحدة في القاموس أظهر وبيّن بوضوح علاقاتها الداخلية وأشار إلى خصائص الصرف وفي الحقيقة جعله قاموساً اشتقاقيًا بشكل أساسي أيضاً.

لن أتحدّث هنا عن خصائص اللغة العربية بشكل عامّ بل فقط سأشير إلى الأشياء التي تهم الطالب من خلال استخدامه للمعجم المبني على جذور الكلمات. من الأهمية أن نشير هنا الى أن صرف اللغة العربية هو أوضح خاصية فيها. فالمعجم المبني على جذور الكلمات يعرض هذه الصفات بشكل كامل ومفهوم. فإذا كانت الكلمة في اللغات السلافية في معظم الأحوال تتكون من جذر ثنائي غير ثابت، وتضاف إليه لواحق مختلفة في البداية والنهاية، فإن الكلمة العربية تعتمد على الجذر الثابت الذي يمكن أن تزاد إليه الحروف المزيدة حسب القواعد الصرفية المضبوطة وهي مثلا تشديد الحروف أو إضافة حروف مختلفة مثل أ، ت، م، ا، ن والخ. واعتمادا على طريقة وصل الحروف المزيدة بالجذور يتمّ بناء الأوزان. والجذر يمكن أن يكون أساس الفعل المجرّد أو الاسم المجرّد. من المهمّ أيضا أن الأسماء يمكن اشتقاقها من الأفعال بسهولة، والعكس صحيح، أي أن الأفعال كذلك يمكن اشتقاقها من الأسماء بصورة بسيطة ومن هذه الأفعال يتمّ تكوين مشتقّات أخرى. اعتبارا للصفات اللغوية للكلمة في اللغة العربية فقط المعجم المبني على الجذور هو الذي يقدم بصفة واضحة كل جذر مع المشتقات الممكنة منه. وكل وزن يغيّر المعنى الأساسي للمجرّد إلى مثلا كيفية حدوث الفعل أو الحال أو اتجاههما أو كميتهما.

وبناء على الجذر يمكن توليد مجموعة كبيرة من الكلمات. ومجموعة الكلمات تلك التي اشتقّت من الجذر المشترك يمكن أن نراها في الكتابة بصورة واضحة ونسمعها في اللفظ بطريقة جيدة. وإذن يمكن القول إنّ المعجم الذي يعتمد على جذور الكلمات يعرض للقارئ كل الأدوات اللغوية المستعملة في توليد المفردات. ويستطيع الطالب كذلك أن يرى في القاموس المبني على الجذر الدور الذي يلعبه كل حرف في الاشتقاق بصورة واضحة جداً. فمن المهمّ للطلاب أن يفهموا هذه الصفات الأساسية للغة العربية وغنائها ويشعروا بها من بداية الدراسة. وبالإضافة الى ذلك من خلال استعمال هذا القاموس سيرى الطالب اللغة العربية كنظام متكامل عامّ بصورة مرتّبة. إنّ المعجم الموضوع على جذور الكلمات يعرض قوانين الصرف وقواعده بطريقة دقيقة ومفهومة جدّا وبفضل ذلك يتذكر الطالب قواعد الصرف بواسطة هذا المعجم في وقت أسرع وللأبد لأنه مضطرّ ان يعود إليها ما دام يستعمل القاموس.

إذن من مزايا الطريقة التي تعتمد الجذر هي: أن أصل الكلمات واضح بشكل جيد وبيّن، وكذلك علاقاتها وصفاتها المشتركة، فإن تحول معاني الكلمات مرتبط بتغير الأوزان. القاموس الذي على هذا النحو يُظهر بوضوح انفراد اللغة العربية بخصائصها كلغة سامية واختلافاتها عن اللغات الأخرى.

ومع ذلك وعلى الرغم من كل المزايا المذكورة أعلاه، إنّ استخدام مثل هذه المعاجم صعب على الطالب في بداية الدراسة لأن هذا الأسلوب غير مألوف لدى الطالب الأوربي ولاستعمال هذا القاموس يجب على الطالب أن يعرف القواعد الأساسية لعلم الصرف. ولكن بناءً على خبرتي أستطيع أن أقول إنّ هذه المشكلة تزول عادةً بعد الفصل الأول من السنة الأولى. على كل حال، في الفصل الثاني من السنة الأولى كل طالب قادر على استخدام

المعجم الذي يعتمد جذور الكلمات. فالصعوبة الأولى تتحول الى فائدة بمعنى أن الطالب يطبّق الصرف والاشتقاق كل لحظة عندما يراجع القاموس أي بمعنى آخر أن الطالب في حالة مراجعة متواصلة للغة ويقال إن في الإعادة إفادة. بالإضافة الى ذلك يعرف الطالب بصورة واضحة أنه إذا لا يتمكن من علم الصرف، يعني لا يجد جزر الكلمة في المعجم ولا يفهم النص.

## الطريقة التي تعتمد على الترتيب الأبجدي

هذه الطريقة الثانية جديدة بالنسبة الى اللغة العربية وقد اقترحها العلماء الأوربيون في القرن العشرين وهذه طريقة تُبنى على الأبجدية وهي طريقة مفهومة للطالب الأوربي من البداية وهو متعوّد عليها ويجدها تناسب تفكيره أكثر. فالطالب يستطيع أن يستعمل هذا المعجم الأبجدي من بداية الدراسة دون حضور المحاضرات في علم الصرف. ولهذا السبب ربما اختار اللغويون في بولندا وضع القواميس باعتماد الترتيب الأبجدي. ولا يوجد حتى الآن معجم مبني على جذور الكلمات.

لكن هذا النوع من القواميس لا يكشف عن الصفات الخاصة باللغة العربية وخصائصها في الصرف والاشتقاق، أي كل النقاط التي ذكرتها في الطريقة الأولى. سيعرف الطالب الكلمات بشكل منفرد بعيداً عن فهم العلاقات بين المعنى العام للجذر ومعاني الأوزان. لن يفهم الطالب من البداية خصائص اللغة العربية وجوهرها ونظامها العامّ المبني على جذور الكلمات. من بين الأشياء الأخرى هناك مسألة أخرى وهو أن القاموس الأبجدي لا يجبر الطالب على التدرب على الأوزان والنماذج الصرفية الأمر الذي لا نستطيع أن نضيفه إلى المزايا.

## القواميس في روسيا وبولندا

نحاول الآن أن نأتي على القواميس العربية البولندية والعربية الروسية لنرى طبيعة الدور الذي تلعبه هذه القواميس في العملية التعليمية وخاصة من جهة الطلاب. كما ذكرت في بداية هذه المقالة فإن وضع المعاجم في هذين البلدين الي حدّ الآن مختلف جداً.

في روسيا نُشر أول معجم كبير عامّ عربي روسي في القرن التاسع عشر وذلك لقراءة القرآن الكريم والمعلقات السبعة وبعض أشعار امرئ القيس. ألّف هذا المعجم الأستاذ يوسف غوتوالد (١٨٩٧-١٨١٣)iii، ثمّ ظهر بعد ذلك قاموس ثاني أكبر وأفضل من الأول للأستاذ فلاديمير غيرغاز ( ١٨٨٧- ١٨٣٥)iv. فالمعجم الثاني كان مخصّصًا لقراءة القرآن الكريم والأدب العربي القديم. وكلا المعجمين مبنيان على الجذر. القاموس الثاني يحتوي عددا من الكلمات أكثر من الأول، ولذلك أصبح أكثر انتشارًا. هذا القاموس مفيد جداً حتى أنه تمّ إصدار نسخة جديدة منه في القرن الحادي والعشرين. ويستعمل الأساتذة والطلاب هذا القاموس حتّى اليوم للعمل مع النصوص العربية الكلاسيكية. في منتصف القرن العشرين تمّ إصدار القاموس الكبير العامّ العربي الروسي الجديد والذي يشمل مفردات اللغة العربية المعاصرة، ألّفه البروفيسور بارانوفv اعتماداً على جذور الكلمات. وأشار الأكاديمي إغناطيوس كراتشكوفسكي إلى أن الطريقة التي تعتمد على جذور الكلمات سوف تُستخدم دائمًا في القواميس الكبيرة العامّة باعتبارها الوحيدة المناسبةvi. إذن حاليا يُستخدم في روسيا المعجمان – الأول للعمل مع النصوص العربية القديمة والثاني للعمل مع النصوص العربية المعاصرة وكلاهما مبنيان على جذور الكلمات ولا يوجد في روسيا قاموس موضوع على الأبجدية.

في بولندا تُستخدم اليوم ثلاثة قواميس كبيرة عامة عربية بولندية. وهي: معجم عربي بولوني ألّفه الأستاذ يانوش دانيتسكي ويولانتا كوزلوفسكاvii والمعجم العربي البولندي ألّفه الأستاذ ياجي واتشيناviii وقاموس عبارة عن جزئين- بولندي عربي وعربي بولندي ألّفه مارتشين ميخالسكي وميخائل عبدالله‌ix. وكل هذه القواميس مبنية على الترتيب الأبجدي وليس على جذر الكلمة. ولكن تجب الإشارة إلى أن معجم الأستاذ ياجي واتشينا جمع الطريقتين: الأفعال وأوزانها مرتّبة على الجذر، أما الكلمات الأخرى أي الأسماء والمصادر فمرتّبة على الأبجدية. هذا ويمكنني أن أنسبه الى القواميس الأبجدية بشكل عامّ.

## أي معجم يختار الطلاب؟

ما هي القواميس التي يختارها الطلبة؟ واضح أن الطلاب الروس لا يوجد عندهم الاختيار فهم يستخدمون المعجمين المبنيين على جذر الكلمة فقط. ولذلك، يركّز الطلاب منذ الخطوات الأولى على الدراسة العميقة لعلم الصرف والاشتقاق


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

لاستخدام القاموس المبني على جذور الكلمات. ونتيجة لذلك يعرف الطالب بصورة جيدة جداً اشتقاق الكلمات وهو قادر بشكل سريع على معرفة وزن الكلمة وجذرها. أما بالنسبة للطلبة في بولندا فقد لاحظت أن الطلاب البولنديين يستخدمون كل القواميس الأبجدية الثلاثة في السنة الأولى والثانية، وبعد ذلك في السنة الثالثة ينتقلون جميعهم إلى القواميس العربية الإنجليزية التي تعتمد على الطريقة التي وضعها الخليل أي على جذر الكلمة. يختارون قاموس هانز فيرx لقراءة النصوص الحديثة وقاموس لادوارد لاين xi لقراءة النصوص القديمة. ويستخدم الطلبة الذين يعرفون اللغة على مستوى متقدم المنجدxii، أو أحيانا القواميس الألكترونية – الباحث العربي والمعاني. وكثيراً ما يستعمل الطلاب المعجم الألكتروني البولندي العربي والعربي البولندي – Arabsko-Polski Słownik Glosbe.

أسأل الطلاب كل سنة لماذا يفضّلون هذا المعجم على ذاك؟ ويجيبون دائما أن القواميس الأبجدية يجب استخدامها في البداية لأنها سهلة جداً ونستفيد منها في هذه المرحلة. وفي المستويات المتقدمة يعجبهم استعمال المعاجم التي تعتمد على جذور الكلمات. أخبرني الطلبة أنّ هذه القواميس أكثر إفادة ومناسبة للعربية، قالوا كذلك إنّ علاقات الكلمات ببعضها واضحة ومفهومة.

## الاستنتاجات

بناءً على المقارنة بين خصائص الطريقتين في تأليف المعاجم من ناحية، وكذلك اعتماداً على ملاحظاتي الشخصية عن تقدّم الطلاب في دراسة اللغة العربية والحوارات الكثيرة مع الطلبة من ناحية ثانية يمكنني أن أستنتج التالي: للطالب الحقّ في استخدام الطريقتين – إما المعجم الموضوع على الطريقة الأبجدية وإما المعجم المبني على طريقة الخليل بن أحمد يعني اعتماداً على جذور الكلمات لأن كل طالب له الحرية في اختيار القاموس الذي يناسبه أكثر. ففي السنة الأولى يناسب الطالب أكثر المعجم الأبجدي، أي أن الفائدة تحصل من المعاجم الثلاثة. ثمّ مع التقدم في تدريس القواعد الصرفية يحتاج الطلاب إلى المعجم الموضوع على جذور الكلمات الذي للأسف الشديد غير موجود في بولندا حتى الآن. ويبدو لي أنّه آن الوقت لتغطية هذا النقص وتأليف معجم مبني على جذور الكلمات وتقديمه للطالب البولندي دون المرور عبر وسيلة الثالثة وهي اللغة الانجليزية.

ومع ذلك واعتماداً على تجربتي الشخصية أستطيع أن أقول إن كل من يعمل مع اللغة العربية، يدرك في وقت ما أن اعتماد على الجذر في ترتيب الكلمات في المعاجم هو أكثر ملاءمة للغة العربية وهذا ما أكدته لي ملاحظاتي الشخصية التي جمعتها من الطلبة الروس والطلبة البولنديين.


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

# الهوامش والمراجع

i أجرجي زيدان. اللغة العربية كائن حي. مصر، القاهرة، هنداوي، ٢٠١٦

ii ص. ١٩ –٢٧ . جرجي زيدان. اللغة العربية كائن حي. مصر، القاهرة، هنداوي، ٢٠١٦

iii Иосиф Готвальд. Опыт арабско-русского словаря на Коран, семь моаллакат и стихотворения Имрулькейса, Казань, Университетская типография,1863.

ivВладимир Гиргас, Словарь к Арабской хрестоматии и Корану, Казань, Типография императорского университета, 1881.

v Харлампий Баранов, Арабско-русский словарь, Москва, Русский язык, Издание шестое, 1984. Первое издание 1941 – 1946.

vi Игнатий Крачковский, Из предисловия к первому изданию словаря. В: Харлампий Баранов, Арабско-русский словарь, Москва, Русский язык, Издание шестое, 1984, с. 15.

vii Janusz Danecki, Jolanta Kozłowska, Słownik arabsko-polski, Warszawa, Wiedza Powszechna, ١٩٩٦.

viii Jerzy Łacina, Słownik arabsko-polski, Pozna, Wydawnictwo naukowe UAM, ١٩٩٧.

ix Marcin Michalski, Michael Abdalla, Słownik polsko-arabski i arabsko-polski, Level Trading, ٢٠١٠.

x Hans Wehr, A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. J. Milton Cowan, Beirut, Librairie du Liban, ١٩٧٦.

xi Edward William Lane, Arabic-English Lexicon. London: Willams & Norgate ١٨٦٣.

xii المنجد في اللغة، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2